الجمالي : هذا الضعف الذى يتبدى في تكرار العلاقات والشخصيات ، وفي انتقاء الصراع ، حتى بدت روايات جبرا وكأنها رواية واحدة ، وبدت شخصياته شخصية واحدة : فالنسيج الروائي لدى هذا الكاتب ، وفي كل الروايات قطعة قماش بلون واحد فقط . سواء أكانت الشخصية بدويا مثل توفيق خلف في « صيادون في شارع ضيق » أم تاجرا مثل وديع عساف في « السفينة » او امرأة مثل « مريم الصفار » في « البحث عن وليد مسعود » او كاتبا مثل « امين » في « صراخ في ليل طويل » ، سواء أكانت بهذا الوضع او ذاك ، فلها الميزات نفسها وطريقة السلوك والكلام والثقافة نفسها ، ان الجوهر واحد ، وهو جوهر شخصية البرجوازي المتعلم « ثقافة : غنى : مغامرات » ان هذه الشخصية التي يقدمها جبرا ابراهيم جبرا تطرح مسألة النموذج في الفن الروائي بعامة .

يقدم النموذجي او النمطي في الشخصية الروائية ، استقطابا وتكثيفا لجوهر الشخصية الاجتماعية المراد تقديمها ، ان هذا التكثيف وهذا الاستقطاب يتطرفان حتى يصلا حد النهاية ، اي النهاية القصوى لصفات طبقة ، شخصية ما في مرحلة تارخية محددة . فدون كيشوت بتطرفه هو التكثيف النهائي لشخصية الحالم ورافض الواقع ، ودون جوان هو بتطرفه في العشق ، تكثيف للعاشق ، والطروسي في رواية حنا مينه « الشراع والعاصفة » بتطرفه في المغامرة والحياة هو التكثيف للروح الشعبي .ليست الشخصية النموذجية حاصل جمع رياضي لميزات طبقة او مجتمع او خلق ، بل هي الجوهري ، والجامع المكثف لشخصية جماعة ، طبقة ،خلق . ان ما يبدو استثنائيا في الشخصية النموذج هو نوع من الاستثناء الذى يثبت القاعدة : فمحاربة دون كيشوت لطواحين الهواء استثناء والرمز الذى يدل على القاعدة في مثل هذه الشخصية ، الا وهي عدم رؤية الواقع ، نتيجة رفضه .

اذا اخذنا صفات شخصيات جبرا ابراهيم جبرا الاساسية رجالا ونساء (الغنى ، الثقافة ، العشق)، وضح انها تنمذج نمط الشخصية البرجوازية المتعلمة واذا دققنا في ثقافتها ، تبين لنا انها تمثل نمط الشخصية المثقفة « ثقافة غربية » في مجتمع متخلف ، والان نتساءل : هذه الشخصية ما هي علاقتها بالمجتمع العربي ، وهل تستطيع ان تكون شخصية عربية نموذجية ؟ هل تستطيع تمثيل واستقطاب قضايا المجتمع العربي ؟ ان الشخصية التي يراد لها ان تتمثل حالة او نمطا أو وضعا اجتماعيا ما انما يجب ان تعكس ، في وضعها ومعيشتها ووعيها، نمط حياة ومشكلات واشواق المجتمع الذى تنبثق منه (لنتذكر شخصية كمال عبد الجواد في ثلاثية نجيب محفوظ مثلا) . ولكن ، وكما هو معروف فالاغنياء قلة ، واقل منهم ــ ربما ــ المثقفون ، وخاصة في مثل ثقافة شخصيات جبرا ابراهيم جبرا ، ان هؤلاء الاغنياء المثقفين ، العشاق يمثلون فئة قليلة من طبقة في المجتمع العربي ، والاقتصار على عكس حياة هذه الفئة لا يستطيع ان يقدم شخصيات نموذجية ، بل هو فقط عكس لحياة هذه الفئة اياها ، والاقتصار على عكس حياة فئة واحدة متشابهة ، يفقد العالم الروائي عنصره الاساسي الا وهو الصراع والشمول ويحوله الى عالم انشائي بلاغي ، يعتمد على اللغة الانشائية وان كانت جميلة كما حصل مع جبرا ابراهيم جبرا . اضافة الى ذلك ، ان هذا الاقتصار على فئة واحدة يقطع صلات العالم الروائي بالواقع ، مقدما بذلك عكسا جزئيا لوضع فئة واحدة ، لا تمثلا ديناميكيا لحياة المجتمع ككل ، وهذا ما حصل مع عالم جبرا ابراهيم جبرا الروائي .